الفنان عبدالواحد طه ..غياب نجم في خريف المسرح العراقي

عبدالله حبه – موسكو

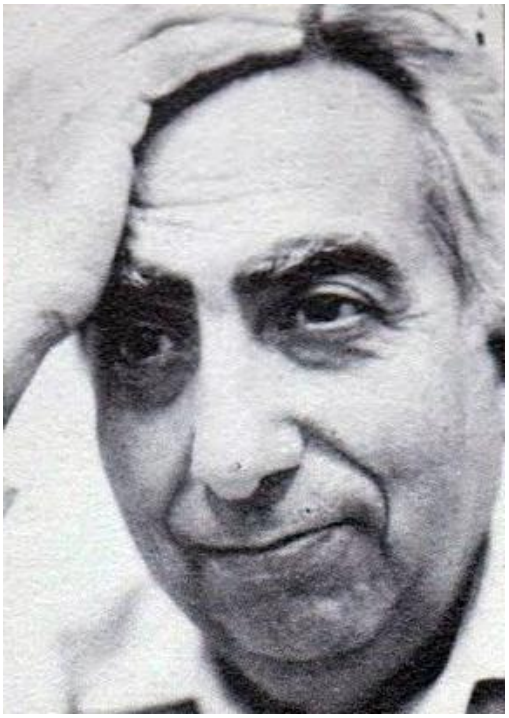

الفنان عبد الواحد طه

حدث ذلك في أواسط الخمسينيات، حين كنا شباب ذلك الجيل، مفعمين بالأمل قبل ان يشيع العمر روح اليأس فينا بعد ان احلولكت الأيام وإدلهمت اليالي، وفقدنا كليا الأمل في رؤية بصيص نور في نهاية نفق المآسي والكوارث التي حلت بأرض وادي الرافدين وما يسمى العالم العربي خلال عدة عقود من السنين. فقد صحبني أحد الاصدقاء إلى دار المعلمين العالية في بغداد لمشاهدة عرض مسرحية "البخيل" لموليير. وكان يمثل دور البخيل الفنان عبدالواحد طه، حامل بكالوريوس في التجارة ورئيس جمعية " جحا أخوان"، والذي اصبح فيما بعد من أقرب اصدقائي في الشأن المسرحي بالرغم من فارق السن بيننا. فقد كان يكبرني بحوالي عشرة أعوام. وبقيت الصداقة بيننا في معهد الفنون الجميلة وفي فرقة " المسرح الحر" وفرقة المسرح الحديث. وكان عبدالواحد يعمل في مختبر الفيزياء في دار المعلمين العالية ويشرف على حفلات السمر التي تقام فيها، وبضمنها عرض المشاهد والمسرحيات الهزلية. وكان يفضل المسرحيات الكاملة ومنها " البخيل". والطريف انه بقي وفياً لهذه المسرحية طوال سنين عديدة، وأديت أمامه شخصيا

دور الخادم في أحد العروض. كما كان يحلم بتمثيل دور طرطوف أيضا في مسرحية " طرطوف" الشهيرة لموليير أيضا لولا المشاكل مع الرقابة. وعرفته لاحقاً على صديق الصبا الرسام الارمني ارداشيس كاكافيان الذي أهداه احدى رسومه. وقد رافقت الفنان عبد الواحد طه لدى زيارة ملهى ليالي الصفا (!) لمشاهدة الممثل جعفر لقلق زاده الذي ارتبط تأريخه المسرحي بالملاهي حصرا ، واعتبر تجسيدا لظاهرة الممثل المنفرد. وفعلا كان جعفر لقلق زاده يظهر لوحده على خشبة المسرح بأزياء تأريخية وديكورات تناسب المقام ثم تظهر راقصة جميلة يداعبها بشكل غير محتشم وبهذا يثير هياج جمهوره. وكنا آنذاك نحن الاعضاء في فرقة المسرح الحديث قد أردنا الاطلاع على هذه الظاهرة المسرحية بغية الاستفادة منها ان وجد ما يستحق ذلك. ونظرا لارتباطي بالمعهد الثقافي البريطاني ومسئول المكتبة فيها روسل باودين الذي أسس فرقة " ممثلو دجلة" وأخرج العديد من المسرحيات الجادة باللغة الانكليزية هناك وعملت معه كمدير مسرح، فإنني تأثرت بصورة مبكرة عن طريقه بالافكار المسرحية الاوربية ومنها الحديث عن مسرح الممثل الواحد. وقد حدثت عبدالواحد بأن هذه ربما تكون الخلاص من مشاكل مسرح الهواة في العراق حيث لا يتوفر دائما النص المناسب والممثلون الموهوبون ولاسيما العنصر النسائي. اذ لم يوجد في العراق في الخمسينيات مسرح محترف يقدم العروض بإستمرار. وفي الواقع لا يوجد مثل هذا المسرح حتى اليوم بعد مرور حوالي ستين عاما على مشاهدتي لعرض مسرحية " البخيل"، بالرغم من محاولة فرقة مسرح الحديث في السبعينيات لتأسيس مسرح دائم مقره في " مسرح بغداد". لكن هذه المحاولة لم يقيض لها النجاح آنذاك بسبب أعمال القمع التي طالت جميع المثقفين في تلك الأيام وعدم اهتمام المسئولين بالمسرح عموما.

وتحمس عبدالواحد لفكرة مسرح الفنان الواحد لكي يقوم نفسه بهذا الدور. واخذنا نبحث عن نص مسرحي هزلي . ولم نفكر ايامذاك في المسرحية الجادة، فجمهورنا كان يأتي لمسرح الهواة من اجل التسلية والضحك. ودعاني مرة لمشاهدة "القصة خون" عند مدخل السوق بالقرب من جامع مرجان. فشاهدنا رجلا يمسك بعصا ومعه صبي – ربما هو أبنه – وتجمع حوله حشد من الناس بدافع الفضول لسماع سلسلة حكاياته بمساعدة العصا، فهي تقوم بدور السيف مرة والافعى تارة أخرى، وتصحبها حركات الصبي العفوية، ويتحدث عن مغامرات عنتر وابي زيد الهلالي والغول والسعلاة وهلمجرا. وكان المشاهدون وأكثرهم من الكسبة في السوق ينعمون عليه بشئ ما او قطعة نقود صغيرة. وقال لي عبدالواحد ان هذا الرجل

أفضل من أي ممثل على المسرح فهو قادر على إقناع المشاهدين بما يفعل ويحكي الحكايات بدون أزياء وديكورات وإنارة مسرحية. لكن بقيت مشكلة النص، ووجدنا النص لاحقا ليس عند كاتب عراقي أو عربي، بل عند انطون تشيخوف في "أنشودة التم" و"محاضرة عن اضرار التبغ " اللتين قدمتها لاحقا على مسرح كلية الآداب ومن قبل فنانين آخرين.

ويذكرني ذلك بعد عشرات السنين عند مشاهدة مسرحية قدمها الممثل الانكليزي جون كيلكود على خشبة مسرح الكرملين. وقد ظهر الممثل الشكسبيري القديرامام الجمهور ببدلة رودنجتون سوداء وكرافتة، وأدى مونولوجات هاملت وماكبث وروميو وغيرهم من ابطال شكسبير على خشبة المسرح الفارغة، فتارة كان يذرف الدموع وتارة يضحك ويمزح ويرقص ويغني. وقد وجد كيلكود تجاوبا كبيرا لدى المشاهدين الذين استقبلوه بالتصفيق الحار. وهذا يدعوني أحيانا الى الاعتقاد بأن "مسرح المخرج" الذي يطغى اليوم في المسارح العالمية قد هشم دور الممثل الى درجة جعلته مثل الدمية التي لا دور لها في العملية الابداعية لفن المسرح. ولاحقا حدثنا استاذنا جاسم العبودي في معهد الفنون الجميلة وفي بيته حين كنا غالبا ما نزوره ونسمتع الى أحاديثه وأحاديث زوجته مرجريت آن عن روائع نتاجات المسارح العالمية وأفكار كبار المسرحيين في اوروبا وأمريكا ، مؤكدا على وجوب عدم سلب الممثل حرية الابداع على خشبة المسرح.

مسرحية"البخيل " – عبدالواحد طه وعبدالله حبه بمعهد الفنون الجميلة(1954)

ومضت الأيام وإلتحقنا سوية – أنا وعبدالواحد – بقسم التمثيل في معهد الفنون الجميلة فأشتركت في مسرحية " شهرزاد " لتوفيق الحكيم بدور الغلام مع وجيه عبدالغني (شهريار) وكارلو هارتيون (قمر). بينما شارك عبدالواحد في الامور التقنية من إنارة ومؤثرات صوتية وموسيقى وهلمجرا. والحدير بالذكر ان عمله في مختبر الفيزياء جعله لاحقا أيضا يتولى أداء كل ما يتعلق بالكهرباء لدى اخراج المسرحيات في فرقة المسرح الحديث. ويعود اليه الفضل في استخدام صندوق المقاومة الكهربائية للتحكم بالانارة واختراع "بروجكتورات" صنعت من علب صفائح الطماطم ، حين لم يكن هناك وجود للبروجكتورات ذات العدسات في جميع الصالات في بغداد. وكانت الانارة فيها بدائية وهي عبارة عن مصابيح ملونة تعلق في السقف في خشبة المسرح.

كونستنتين ستانيسلافسكي

لقد كان أول ما تعلمناه من استاذنا جاسم العبودي هو أصول المسرح السيكولوجي القائم على أساس "طريقة" كونستنتين ستانيسلافسكي والتي اتقنها في معهد مسرح غودمان في شيكاغو. وكانت فكرة تقمص الممثل لدوره هي الطاغية في تلك الفترة. واصبح طلاب قسم التمثيل من أشد المتحمسين لها حتى ان سامي

عبدالحميد عمد الى ترجمة فصول من كتاب ستانيسلافسكي حول عمل الممثل، ونشرت في مجلة " السينما" لصاحبها المخرج السينمائي كاميران حسني. وتدريجياً صار عبدالواحد ينتقل من الادوار الهزلية الى اداء الادوار الجادة في المسرح في عروض فرقة المسرح الحديث وفي السينما (في فيلم "سعيد افندي"). ولابد من الاشارة هنا الى ان جاسم العبودي لم ينجح في انتاج شئ يذكر في فرقته " المسرح الحر" لاسباب كثيرة منها عدم وجود النص المناسب. فقد أراد تقديم " كلهم ابنائي" لأرثر ميللر ثم عدل عن الفكرة لصعوبة تحقيقها، إضافة إلى غياب التمويل. ولم يرغب العبودي في تقديم مسرحية شعبية باللغة العامية من تأليف يوسف العاني أو غيره. كما كان يحلم بتأسيس مسرح يمول نفسه بنفسه ويكون له كادر دائم من الممثلين الذين يتلقون رواتب ويكرسون أنفسهم للمسرح فقط. لكن هذه كانت مجرد أحلام وردية غير ممكن تحقيقها في ظروف المجتمع العراقي آنذاك. كما كان أحد الأسباب توجه الوسط الثقافي الى عروض فرقة المسرح الحديث التي اثبتت جدارتها في تقديم العروض الجادة ذات الطابع الاجتماعي. لهذا انتقل عدد من الفنانين ونحن منهم الى فرقة المسرح الحديث في عام 1958. وكانت الفرقة منذ تأسيسها تتعرض بين حين وآخر الى ملاحقة السلطات لها ومنعت مسرحيات يوسف العاني احد ابرز رموز هذه الفرقة والذي كانت مسرحياته تشكل نواة ربرتوار الفرقة.

شارك عبدالواحد طه في عدة مسرحيات سواء في معهد الفنون الجميلة او في فرقة المسرح الحديث، ومنها " رسالة مفقودة " و" الحقيقة ماتت" و"آني أمك ياشاكر" و" رأس الشليلة" وغيرها. وبالرغم من ان الشخوص التي مثلها لم تكن رئيسية، الا ان مجرد ظهوره على الخشبة كان يضفي حيوية على المشهد المشارك فيها . فقد تمتع بموهبة الممثل بالفطرة وصُقلت هذه الموهبة بالممارسة التطبيقية. وقام عبد الواحد طه بمهمة الاخراج لأول مرة في عام 1960 حين اخرج بنجاح مسرحية "أهلا بالحياة " ليوسف العاني.

وكان أخراج مسرحية انطون تشيخوف " الخال فانيا" أهم حدث فني في عام 1961 حيث قدمت الفرقة مسرحية كاملة لكاتب روسيا الكبير لأول مرة في تأريخ المسرح العربي. وكان اسناد مهمة الاخراج الى عبدالواحد طه نفسه يعتبر مجازفة كبيرة من الفرقة، لأن تشيخوف يعتبر من اصعب المؤلفين المسرحيين، اذ لا تعتمد مسرحياته على الحدث قدر اعتمادها على الحوار وفترات الصمت. وكان ذلك احد

الاسباب التي جعلت ستانيسلافسكي يرفض تقديمها في بداية الأمر في مسرح موسكو الفني لدى تأسيسه. ولولا تدخل شريكه في تأسيس مسرح موسكو الفني نيميروفيتش دانشينكو صديق الكاتب وأحد المعجبين بأدبه ـ كما كان نفسه كاتبا

في الصورة : مسرحية " الحقيقة ماتت" في معهد الفنون الجميلة بمشاركة عبدالواحد طه (الجالس من اليسار) ويبدو في الصورة أيضا عبدالرحمن فوزي وسامي عبدالحميد وسعاد حبه وبدري حسون فريد ونورا هارتيون

مسرحيا ناجحا في اواخر القرن التاسع عشر، لما قدم تشيخوف على خشبة هذا المسرح أبدا. ويومذاك استطاع دانشينكو إقناع ستانيسلافسكي بأن من الممكن تقديم اعمال تشيخوف على خشبة المسرح بشرط التعمق فيما وراء سطورها وابراز ثلاثة عوامل في العرض هي : الاجتماعي والحياتي والمسرحي(الفني). وقد حاول عبدالواحد طه التمسك بهذه العوامل لدى اخراجه لمسرحية تشيخوف. وكتب يوسف العاني عن عبدالواحد طه في مقالته " مخرجون عملت معهم بالمسرح " : " حين قررت الفرقة تقديم مسرحية من الادب العالمي وقع الاختيار على " الخال فانيا" وتبني المشروع والتحضير له عبدالواحد طه. وكان يصر على شاعرية ورقة الاداء. وكانت مجموعة الممثلين منتبهة وواعية لما يريد. لقد أكدت المسرحية في حينها ان الجمهور العراقي يتقبل العمل المسرحي الجيد رغم صعوبته في المشاهدة، والايقاع المتزن والبطئ المتلائم مع حياة الشخصيات. وكان دور عبدالواحد المخرج كبيرا رغم تواضعه وهدوئه الكبيرين ".

أنطون تشيخوف يقرأ نص أحدى مسرحياته وسط الممثلين قبل عرضها على الجمهور

ومن المعلوم ان عبدالواحد طه رفض في البداية قبول مهمة اخراج " الخال فانيا" رغم اعجابه الكبير بتشيخوف. وكنت أتلقى منه الرسائل في عام 1961 التي أشار فيها الى فشل مشروع هام وهو انتاج مسرحية " المفتش العام" لجوجول في الفرقة بسبب الخلافات مع الممثلين (كما ذكر لي في رسالة له ان طه سالم أحبط المشروع منذ البداية) . وفي الحقيقة انني اتفهم موقف طه سالم الذي كان يعتبر نفسه ممثلا وكاتبا ومخرجا كبيرا، وما كان ليتقبل ملاحظات مخرج من "الهواة" مثل عبدالواحد طه. وهذا الموقف هو شئ طبيعي ويجري في كافة المسارح وحتى في مسارح الدول المتقدمة في مضمار العمل المسرحي .علما ان طه انتقل بعد هذا للعمل في الفرقة الشعبية. كما عارض بعض الممثلين اسناد مهمة الاخراج اليه، بالرغم من تدخل يوسف العاني الذي قال ان من حق الهيئة الادارية تكليف أي شخص بمهمة الاخراج. لكن الذي حدث هو ان الممثلين الرئيسيين لم يحضروا البروفات وتوقف العمل في اخراج المسرحية نهائيا. وبعد ذلك قررت الفرقة اخراج " الخال فانيا" وكلفته بهذه المهمة أيضا. علما ان علاقة عبدالواحد طه بأدب تشيخوف قديمة. وقد أعطاني مرة ترجمة شاكر خصباك لمجموعة من قصص تشيخوف، وأشار الى انها تعتبر ذروة الفن القصصي ونصحنى بالتعمق في ادراك مغزاها. وعندما قرأنا سوية مسرحية " طائر النورس" قال ان هذا ما يجب تقديمه على خشبة المسرح العراقي الآن في غياب النص المحلي المناسب. وكان جاسم العبودي غالبا ما يتحدث في محاضراته لنا عن مشكلة النص المسرحي ووجوب انهاض فن المسرح في العراق بتقديم كنوز الادب المسرحي العالمي. وهذا يعتبر أحد عوامل رفع مهارات الممثلين وإكسابهم قدرات حرفية تجعلهم في مصاف

الفنانين في مسارح اوروبا، مؤكدا على ان الادب المسرحي العربي ما زال في طور جنيني ولم تظهر المسرحية الجيدة بعد.

ومن الطريف ان عبدالواحد طه كان يشبه في سلوكه كأنسان شخصية الكاتب الروسي الكبير من حيث الكياسة والادب وهدوء الطبع والصبر.. وأهم شئ الصدق مع نفسه والآخرين. وكان لا يطيق الزيف في كل شئ. وقلما كان يغضب او يتلاسن مع الآخرين. وكان يحلم بأن يؤدي دور الطبيب- وهو تجسيد لشخصية تشيخوف – في مسرحياته. وعندما كلف بإخراج " الخال فانيا" بعد المشاكل التي حدثت في الفرقة رفض ذلك وقال انه يريد ان يمثل، ويريد أداء دور استروف بالذات. لكن لجنة انتقاء المسرحيات والهيئة الادارية للفرقة اصرتا على قيامه بالمهمة. وأشار عبدالواحد في احدى رسائله الي قائلا:" إعترضت حول اسناد الاخراج لي وقلت لهم إني أريد ان أمثل ولا أرغب في القيام بمهمة الإخراج. لأنه في الحقيقة من الصعب جدا الاشتغال مع مجموعة كهذه المجموعة. وفي الحقيقة انهم (ماخذين قالب) ويريدون كل شئ من المخرج، وكلهم يتدخلون في شغل المخرج هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى ان الذين سيمثلون هم جبار عباس ومجيد العزاوي ويوسف العاني ووداد سالم وقاسم محمد – ولا يمكن الاستعانة بالآخرين لأن "المفتش العام" اثبت ذلك ".

وفي الواقع ان الفرقة عانت من الخلافات في مختلف الفترات وكادت أن تؤدي الى تفكك الفرقة، كما حدث في عام 1965 مثلا حين رفض عبدالواحد وآخرون العمل مع ابراهيم جلال لدى اعادة تأسيس الفرقة بإسم " فرقة المسرح الفني الحديث ". وكما أبلغني قاسم محمد في حينه، وفيما بعد تلقيت رسالة من يوسف العاني أيضا بهذا الشأن، فان الخلاف بدأ بعد ان باع ابراهيم جلال رئيس الفرقة اجهزة الإنارة (وهي من أثمن ممتلكات الفرقة) معتبرا ذلك حقا من حقوقه. وكتب العاني من بيروت :"ان الاختلاف وصل الى حد الشتائم والمهاترات بين الطرفين. وقد حاولت عن بعد حسم الخلاف حرصا على سمعة الفرقة ..و عدم فسح المجال أمام الآخرين لكي يطعنوا بماضينا وبأشخاصنا. لكن المحاولات ذهبت سدى .. ثم جاء عبدالواحد وناقشت الموضوع معه بالتفصيل. باختصار ناشدت الطرفين ان يجمدا الخلاف الآن .. وأن يبدأوا من جديد بفرقة واحدة وتعزيزها بعناصر جديدة. أنني ناشدت الطرفين ان يحتفظا بحقهما في محاسبة الثاني ، ولكن ليس الآن .. بالعكس يجب ان يبدأوا الآن من جديد .. وكأن شيئا لم يقع .. وعبدالواحد اقتنع".

مشهد من فيلم " سعيد افندي " – يوسف العاني وعبدالواحد طه وعبدالرحمن فوزي

انها ليست المرة الاولى التي أنقذ فيها فناننا الكبير يوسف العاني الفرقة من الانهيار. وهذا ما حدث لدى إخراج " الخال فانيا" أيضا. فقد أزال التوتر حين فوجئ عبدالواحد بتوزيع الادوار على الممثلين بدون علمه كالآتي : مجيد العزاوي – فانيا وقاسم محمد – استروف ويوسف العاني – الاستاذ وجبار عباس – تيليجين وناهدة الرماح – صونيا وازادوهي صموئيليان– مارينا وزينب – يلينا ، ورينيه – ماريا. وكان ذلك بمثابة صدمة شديدة الى المخرج عبدالواحد وجاء في رسالته لي :" قلت أنني لا أوافق على هذا التوزيع، ولكن يوسف قال لي انه توزيع مؤقت لغرض القراءة الاولى، وبعدها يمكنك ان تغير الادوار .. وعلى كل حال نؤجل موضوع التوزيع الى المرة القادمة. ولدى القراءة الاولى حضر د. كمال نادر، وحالما بدأنا وقبل الانتهاء من قراءة الصفحة الاولى أخذ الدكتور كمال يحلل ويناقش المسرحية بكل "رهاوة" حسب عادته. اما مجيد العزاوي فكان يجد صعوبة في القراءة حتى أنه لم يحسن تلفظ إسم شوبنهاور وجعله شوبنهور .. وما ان انتهت القراءة الاولى وذهبت الى البيت اخذت ألوم نفسي لوما فظيعا على قبولي هذه المهمة وصممت نهائيا على الانسحاب من هذه المهزلة. وفي اليوم التالي أتيت الى موعد البروفة المقررة وقلت للحاضرين (وهم يوسف العاني وسعدي محمد صالح ومجيد العزاوي)... اني اعتذر عن اخراج " الخال فانيا" فتدبروا أمركم. فخيم الوجوم عليهم وسألوني عن السبب فقلت انني لا استطيع تحمل مسئولية الاخراج لأني أريد أن أمثل. ولكن يوسف العاني لم يقتنع وقال لا

يمكن ان تعتذر عن الاخراج ويجب ان تبقى مخرجا. وفي هذه الاثناء دخل د.كمال نادر ، فقلت لهم اني لا أخرج ، لأني لا أؤمن بأن الاخراج يتم على شاكلة مهزلة الامس .. ولا يوجد لدي مانع اذا ما رغب كمال نادر في إلقاء محاضرة عامة عن "الخال فانيا" ، ولكن عندما أكون حاضرا وجالسا للإخراج فأني لا أسمح لأي كان ان يتدخل في عملي .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هناك مسألة توزيع الادوار .. أنا لا أوافق عليه..".

ومضت فترة من الزمن والمعاناة قبل ان يتم الإتفاق على إسناد دور الخال فانيا الى قاسم محمد ودور استروف الى سعدي يونس. واستمرت البروفات فترة طويلة لم يعرفها اعداد اي عرض مسرحي آخر في فرقة المسرح الحديث. وكان ديدن المخرج عدم التسرع وانتظار نضوج جميع ابطال المسرحية في اداء ادوارهم.

وقد تلقيت رسالة من يوسف العاني في تلك الايام جاء فيها :" ان مسرحية "الخال فانيا " تسير بخطوات جدية نحو الاحسن، وقد أصبح الانسجام بين شخصيات المسرحية يجد طريقه بوضوح ..."، وذكر ايضا :" لم يكن بالامكان اكثر مما كان كما يقولون .. فبعد ان قررنا صرف النظر عن مسرحية " المفتش العام " بدأ العمل الجدي بـ" الخال فانيا".. وانت تعلم انها ليست مسرحية سهلة. ولهذا مر مثل هذا الوقت الطويل ونحن نجري بروفاتنا بإستمرار وبإنتظام . والحق يقال ان جميع العاملين فيها يبدون بسالة وجهدا كبيرا جدا..".

صفوة القول ان عرض " الخال فانيا " فتح صفحة جديدة في عمل فرقة المسرح الحديث، وعلى الطريق الملئ بالاشولاك نحو تأسيس المسرح المحترف والجاد في العراق. لقد قدم عرض مسرحية " الخال فانيا" في مطلع كانون الاول عام 1961 وحقق نجاحا كبيرا لدى الجمهور وكان ذلك نصرا كبيرا الى عبدالواحد والى يوسف العاني " دينامو الفرقة" والى فرقة المسرح الحديث أيضا. ففي خلال هذا العقد من الزمان لاحت بوارق الأمل لدى الفرقة في التحول الى مسرح محترف وله مبنى دائم. وقد تحقق ذلك في بداية السبعينيات فقط حين تأسس مسرح بغداد. وكان لابد من البحث عن النص المسرحي الشعبي الى جانب العالمي. فالجمهور العراقي ينجذب أكثر الى المسرحية التي تتناول حياته ومسراته وأوجاعه، ولهذا حققت مسرحية " الشريعة " التي قدمتها الفرقة نجاحا باهرا، وقدمت لمدة 18 يوما على التوالي. ومن الجدير بالذكر ان يوسف العاني كمؤلف مسرحي اصبح غير مؤلف المشاهد الهزلية السابقة في اعوام الخمسينيات. انه برز عندئذ ككاتب مسرحي

يعرف كيفية بناء الشخصيات والحبكة الدرامية وتطور الاحداث. وبدا في تلك الفترة ان المسرح العراقي يشهد نهضة بعد ازدياد نشاط فرق شباب الطليعة والمسرح الجمهوري والفنون الشعبية بالاضافة الى فرقة المسرح القومي الحكومية. واضطلعت مصلحة السينما المسرح عندئذ بدور هام في تنشيط الحركة المسرحية. ولكن بقيت المشاكل الكبيرة وهي قلة عدد الممثلين والمخرجين الكفوءين. وكما كتب لي الفنان قاسم محمد يومذاك فإنه " تبقى مشكلة النص المسرحي ..ومشكلة التكنيك .. ومشكلة مستوى التمثيل (فجميع الممثلين من الهواة) ومشكلة آلية المسرح ومشكلة الإنارة .. والأهم مشكلة المبنى ..". وقد إستأجرت فرقة المسرح الحديث صالة متواضعة بمبلغ 1700 دينار وانفقت على الترميم والتجهيز مبالغ أخرى من أجل استخدامها كمسرح دائم لفرقة. وقد دعا الفنان يوسف العاني لدى زيارته بغداد في العام الماضي السلطات الى أعادة افتتاح مسرح بغداد بإعتباره معلما تأريخيا ثقافيا هاما.

ومنذ أيام استضافت بغداد مهرجان الشباب المسرحي العربي الاول في غياب المسرح الدرامي العراقي في الواقع . ولم تجد دائرة السينما والمسرح ما تقدمه في هذا المهرجان سوى عرض درامي بسيط وفعاليات الفرقة الوطنية للفنون الشعبية وحفل الفرقة السيمفونية وفرقة منير بشير. وفسر البعض ذلك بعدم وجود المخرجين والممثلين من ذوي الموهبة والخبرة والكفاءة. وكان بوسع المسرحيين العراقيين ، بما يتوفر لهم من تراث مسرحي غني ، تقديم عمل جدير بسمعة العراق وبإشراك المواهب المسرحية العراقية المنتشرة ، بلا عمل ، في جميع دول العالم في اعمال جادة. لقد كان المسرح العراقي سابقا – قبل نكبات البلاد- يتصدر جميع الدول العربية في مهرجانات المسرح الاقليمية. أما الآن فلا يوجد لدى الحركة المسرحية العراقية ما تقدمه من أعمال بمستوى " الخال فانيا" و" تموز يقرع الناقوس" و" النخلة والجيران" و"الشريعة " وغيرها من نتاجات فرقة المسرح الحديث التي نسيت الآن. وأنا أرحب بأقوال وزير الثقافة سعدون الدليمي في رده حول من يقول ان الفن حرام والمسرح حرام " عيشوا في زواياكم المظلمة فنحن سنشعل الشموع في كل الزوايا ، سنطاردكم بإبداعنا وبارادتنا..". هذا قول جميل ولكننا نريد ان نرى أيضا فعلا جميلا، بإنهاض المسرح العراقي مجددا فان المسرح ما زال " مدرسة الشعب ". ولا يمكن لأي مسرح جاد في العالم اليوم البقاء بدون دعم حكومي. وما أقصده بالمسرح الجاد هو ليس المسرح الذي يوضع في خدمة أغراض سياسية أو حزبية ما ناهيك عن اغراض كسب الارباح، بل المسرح

الشعبي بكل معنى الكلمة كما تجسد في فرقة المسرح الحديث يوما ما بحضور نجوم المخرجين مثل جاسم العبودي وبهنام ميخائيل وقاسم محمد وعوني كرومي وسامي عبدالحميد ومحسن السعدون وعشرات غيرهم ومنهم عبدالواحد طه رحمه الله.

الفنان عبد الواحد طه في أحد المشاهد المسرحية

2012/12/2